مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 14، العدد 4، (السداسي الثاني 2022م)، ص. 789- 820

عدد خاص بالملتقى الدولي

(العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري)

أثر العلوم الإسلامية في بناء الإنسان وإعداده الحضاري

The impact of Islamic sciences on human construction and civilization

سومية دهري[*1]

جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر) somiadahri@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/05 تاريخ القبول: 2022/07/02 تاريخ النشر: 2022/11/30

ملخص:

إن المعرفة الإنسانية التي أفرزتها الحضارة الغربية بعلومها الدقيقة التطبيقية وعلومها الإنسانية ونظرياتها الفلسفية تتطلب تزكية لها وتنقيحا حتى تكون صالحة للتداول في الأوساط التعليمية والثقافية نظرا لما تحمله من خطايا فكرية تهدد هوية الأمة وكيانها لصدور تلك المعرفة عن عقل غربي موغل في المادية، ولذلك كان دور المعرفة الإسلامية التي أفرزتها العلوم الإسلامية على تنوعها له الأثر البالغ في تزكية وتمحيص هذه المعارف وتشكيلها وصبغتها بالصبغة الربانية ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾، وقد حاولت الورقة البحثية إبراز بعض الجوانب المعرفية في العلوم الاسلامية التي يمكن الاستفادة المنهجية والعملية منها في إثراء المعرفة ومختلف العلوم الإنسانية والمساهمة في ازدهارها وفي تمكين الفرد المسلم والجماعة من الاستفادة العملية منها حتى يصطبغ بها فكر المسلم وشعوره وتصطبغ بها حياته وسائر تصرفاته التعبدية وكذا العادية، وهو الهدف العملي والنهائي من جميع العلوم الإسلامية حيث اهتمت المعرفة العقدية والقرآنية بالتزكية القيمية الأخلاقية وعلمي أصول الفقه والكلام بالتزكية الفكرية، وعلمي الفقه والمقاصد بالتزكية السلوكية، وعلم التصوف بالتزكية الوجدانية باعتبارها تمثل جوانب الإنسان التي يحيى بها والمهمة في تحقيق توازنه وتنميته وإعداده وتأهيله حضاريا.

الكلمات المفتاحية: المعرفة الإنسانية؛ العلوم الإسلامية؛ الإنسان؛ التزكية؛ الحضارة.

[*] سومية دهري

Abstract:

The human knowledge that Western civilization has generated with its applied precision science, humanities and philosophical theories requires that it be revised so that it is fit to deliberate in educational and cultural circles because of its intellectual sins that threaten the identity of the nation and its entity to emit that knowledge from a Western mind preoccupied with materialism. Therefore, the role of Islamic knowledge that Islamic science has given to its diversity has had a profound impact on the development and scrutiny of this knowledge and its formation in the Lord's dye; The paper attempted to highlight some aspects of knowledge in Islamic sciences that can be used systematically and practically to enrich knowledge and various human sciences and contribute to their prosperity and to enable the Muslim individual and the group to benefit practically from them so that the Muslim's thought and feelings can be formulated and his life and other devotional as well as ordinary actions can be addressed which is the practical and ultimate goal of all Islamic sciences.

so; Knowledge in doctrine and Koranic sciences is concerned with the development of values and morality. Speech Science and the principles of jurisprudence are concerned with the development of thought. Jurisprudence is concerned with the development of behaviour. Mysticism is concerned with the development of conscience, which represents vital aspects of human and is important in achieving his balance, development and civilization.

Keywords: human knowledge; Islamic sciences; human life; Values Development; civilization.

1. مقدمة:

إن المعرفة الإسلامية التي شكلتها العلوم الإسلامية على تنوعها والتي استخلصتها من وحي القرآن والسنة وتدبر معانيه ومقاصده، قد أرست لمنظومة فكرية وتربوية متكاملة ومتزنة وقوية تلقاها المجتمع المسلم بالقبول والتطبيق العملي في مختلف نشاطاتهم الحياتية، كما أسهمت بفاعلية وإيجابية في تفاعلاتهم الحضارية، وذلك نظرا لتأثيرها النوعي والشامل في البنية النفسية والعقلية والأخلاقية والوظيفية للفرد المسلم، وإعداده وجدانيا وعلميا وعمليا لتحقيق العبودية لله تعالى والاستخلاف في الأرض وريادة الأمم،

ولذلك فإن تزكية النفس والفرد بكل أبعادها والتمكين لذلك يعد خطوة ضرورية في استعادة الأمة لنهضتها وشهودها الحضاري.

فما هو دور المنظومة المعرفية التي أنتجتها العلوم الاسلامية في التأثير الفعال والحضاري على الفرد المسلم في مختلف جوانب حياته ونشاطاته الحيوية؟ وماهي بنى الفرد وأبعاده التي استهدفتها هذه المعرفة وكيف تم لها ذلك؟

وتهدف الدراسة لإبراز الأهداف التالية:

- إبراز الدور الفعال لروافد العلوم الإسلامية من أصول وفروع على تنوعها واتساعها من علوم القرآن والحديث والعقيدة والفقه، ومخرجاتها في المساهمة المركزية في تحقيق تزكية الفرد نفسه وسلوكه التي أهلته للنجاح الوظيفي على جميع المستويات وتحقيق التقدم والريادة وبناء حضارة متميزة ممتدة في التاريخ.

- أهمية النظرة الشمولية ومركزية النظرة التعبدية في تحقيق صلاح الفرد والإصلاح المجتمعي والنجاح الحضاري المنشود وأثر استبعاد أو إقصاء بعض الأبعاد الأساسية التي تقوم عليها حياة المسلم في اختلال الفرد والمجتمع والركود الحضاري.

- إبراز تميز العلوم الإسلامية بنظرتها الشمولية المتزنة التي تهتم بالجمع بين الروح والمادة والعبادة والأخلاق وتعمير الدنيا والعمل للآخرة، وبين الدين وقضايا الفرد والأمة على السواء في مختلف دراساتها الفكرية والمعرفية والشرعية لاستمدادها من القيم الإسلامية النابعة من الإيمان بالله تعالى والدين الإسلامي.

- إن التفعيل الحضاري للأمة يتم بإرجاع تلك النظرة الشمولية والريادية إلى العلوم الإسلامية ومخرجاتها وأنها العنصر الأساسي الضروري في أي إقلاع حضاري منشود لعالمنا العربي والإسلامي لا يتحقق إلا به.

كما يكون بتأطير جميع المعارف الإنسانية بنظرة توحيدية لتكون متسقة الأدوات والأهداف لا تنحرف عن مقاصد الوحي والشرع في إطار ثقافة إسلامية جامعة ناظمة منسجمة وموحدة تفسر الظاهرة الإنسانية والكونية على السواء لتنطلق نحو ثنائية العبودية والتعمير في تناغم دون انفصام أو صراع وبهذه النظرة التوحيدية الشاملة يتم بناء الفرد وإعداده و بها تصطبغ وتنضبط جميع جوانب الحياة.

وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي والوصفي المناسب لطبيعة الدراسة كما اعتمد على الخطة التالية: مقدمة، ومحورين:

عرض المحور الأول إلى: أهمية المعرفة الإسلامية والقرآنية في بناء الإنسان و الحضارة من خلال التعريف بمصطلحات البحث وهي العلوم الإسلامية، الإنسان والحضارة، والتطرق إلى دور علم العقيدة وعلوم القرآن في تزكية القيم والمعرفة الإنسانية.

وعرض المحور الثاني إلى: دور المعرفة الكلامية والفقهية في تزكية الفكر، السلوك والوجدان. من خلال عرض دور علم الكلام في تزكية الفكر ودور علم أصول الفقه في تزكية المنهجية البحثية، دور الفقه وعلم المقاصد في التزكية السلوكية، ودور علم التصوف والتاريخ الإسلامي في التزكية الوجدانية.

2. أهمية المعرفة الإسلامية العقدية في بناء المعرفة الإنسانية:

2-1 التعريف بمصطلحات البحث:

أولا: تعريف العلوم الإسلامية:

يطلق العلم في اللغة: على أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة، وعلمت الشيء أعلمه عِلما: عرفته، والعلم: نقيض الجهل.[1]

والعلم أيضا بمعنى اليقين يقال علم يعلم إذا تيقن وبمعنى المعرفة أيضا لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقا بالجهل.

"والعلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل: العلم، وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول".[2]

"والعلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: بديهي، وضروري، واستدلالي. فالبديهي: ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة، كالعلم بأن الكل أعظم من الجزء، والضروري ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة، كالعلم بثبوت الصانع وحدوث الأعراض".[3]

بينما يطلق العلم في الاصطلاح على الدراسة والأبحاث المتخصصة بالكشف عن حقائق ذات صلة بموضوع محدد، ولكل علم موضوعاته ومنهجه وأدواته وغاياته ونتائجه.

ومن المصطلحات ذات الصلة الوثيقة بالعلم هي المعرفة، ومفهومها في اللغة هو: من عرف عرفته معرفة وعرفانا، لها أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة،[4] والمعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه، "والمعرفة إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، وهي أخص من العلم، والفرق بينهما وبين العلم من وجوه: أحدها: أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله، والثاني: أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه وذكره قيل: عرفه، بخلاف العلم، فضد العلم الجهل،

---

[1] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،5/ 1990، وابن فارس، مقاييس اللغة،4/ 109 .

[2] ينظر: التعريفات ص155

[3] ينظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 2/ 427.

[4] ينظر: الفيومي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 4/ 1400، وابن فارس، مقاييس اللغة، 4/ 281 .

والثالث: أن المعرفة علم لعين الشيء مفصلا عما سواه، بخلاف العلم، فإنه قد يتعلق بالشيء مجملا".[5]

والإسلام في اللغة: من الفعل أسلم وهو الاستسلام والانقياد[6]، وفي الاصطلاح هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ و الانقياد لله تعالى في كل أوامره ونواهيه.[7]

وتطلق العلوم الإسلامية في الاصطلاح على علوم الدين والعلوم الشرعية وهي "ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة"[8]

فلها أصول وفروع ومقدمات وتتمات فالأصول هي كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة وآثار الصحابة وفروع وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول ومقدمات وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع ومتممات وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتماده أيضاً على النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا.

وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي و ليميز المرسل عن المسند".[9]

إذن تطلق العلوم الإسلامية على العلوم المستمدة من القرآن الكريم والسنة والنبوية، ومن الشريعة الإسلامية، وتشمل علمي الرواية والدراية، وعلوم الآلة كاللغة العربية، وعلوم الثمرة كعلم العقيدة والفقه والتصوف. ولكل علم منهجه وموضوعاته وضوابطه، والتي تشكل معرفة إسلامية متكاملة تتميز بالربانية والشمول والوسطية.

---

[5] ينظر: الجرجاني، التعريفات ص221، الزبيدي، تاج العروس، 33/ 127.

[6] ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص23 .

[7] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 5/ 1952..

[8] ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين،1/ 16

[9] ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين،1/ 17.

ثانيا: تعريف الإنسان والحضارة:

الإنسان في اللغة من الإنس: أي البشر، أو الأنس لأنه يأنس ويؤنس، أو سمى إنسانا لأنه عهد إليه فنسي، "وتقدير إنسان فعلان، و قيل أصله إنسيان على إفعلان، فحذفت الياء استخفافا، لكثرة ما يجرى على ألسنتهم، فإذا صغروه ردوها فيقال أنيسيان ".[10]

والإنسان هو الكائن العاقل الذي خلقه الله تعالى من مادة وروح وكرمه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ ﴾.[11]

ومفهوم الإنسان يختلف من ثقافة وفلسفة لأخرى ومن دين لآخر حول ماهيته ودوره على الأرض فمنهم من غلب الجانب الروحي فيه فاعتبره روحا متجسدة في ذلك الجسد ومنهم من اعتبره مجموعة غرائز تحرك وتوجه الإنسان وأقصى عنه مفهوم العقل والشعور والوجدان وكذلك القيم والدين ولم يعتبر لها أي تأثير في حياته ووجوده وهو الشأن في الفلسفات الحديثة الإلحادية التي تعتبر الإنسان كائنا متطورا عن الجنس البشري ويملك دماغا متطورا مكنه من القدرة على التفكير والنطق والإبداع واستخدام اللغة وذلك ناتج عن تطور انتخابي وانتقائي طبيعي وفقا لنظرية التطور البيولوجية بينما الإنسان في المفهوم الإسلامي فيعتبر كائنا مخلوقا خلقه الله تعالى وكرمه وأسجد له ملائكته تكريما وتشريفا ثم جعله خليفة في الأرض وسخر له ما في الكون والسماوات والأرض وكلفه وابتلاه بامتثال الوحي وتحقيق عبودية لله على الأرض ومغالبة هواه وتعميرها بما فيه صلاحها وينشر العدل والرحمة فيها وسيحاسب على ذلك في الآخرة حيث إلى الله مصيره.

هذا مفهومه باعتبار جوهره وغايته، ومفهومه باعتبار العرض ودواخله ومكوناته، فهو يتكون من خصائص بيولوجية وفيزيولوجية مادية ظاهرة وكذلك خصائص فطرية عقلية ونفسية وأخلاقية معنوية وروحية بما يملك من إرادة واختيار وعقل ومسؤولية وهي ما تمثل الأصالة الإنسانية ويشكل تميزها الحضاري الاجتماعي والعمراني تحقيقا لرسالته الربانية على الأرض بتحرره من تقديس ذاته وعقله وشهواته إلى شهود وتوحيد مولاه تعالى.

---

[10] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،3/ 904.

[11] الحجر: 28 - 29.

وهذا خلافا للرؤية المادية الغربية بمفهوميها الحداثي وما بعد الحداثي عن الإنسان حيث تجعل الحداثة الإنسان مركزا وإلها للكون بعد الانبهار بالقدرة العقلية المذهلة على تفسير ظواهر الكون وأجزائه والعلم بها وتمكنه من استغلالها لصالحه في تطوير وسائله وتحقيق أقصى رغباته للتوسع فيه فتوهم استغناءه عن القوة العليا الإلهية وعن المعارف والقيم التي جاءت بها الأديان والإيمان وأنه قادر بعقله على تحديد وتوليد معاييره الأخلاقية والجمالية الذاتية التي تتناسب مع تطوره العلمي المادي والتقني بينما في مرحلة ما بعد الحداثة تم تقزيم حجم الإنسان إلى كائن بهيمي شهواني بلا إرادة ولا حرية حيث الحتمية والجبرية الطبيعية البيولوجية والقداسة مختزلة فقط في اللذة الآنية والنزعة الفردية حيث يطلق فيها العنان لغرائزه الجنسية ودوافعه الحيوانية بلا أية قيود عقلية ولا أخلاقية ولا حتى مجتمعية وحيث تحكم حياته العدمية والعبثية والشكوك والمادية السائلة وهذا في حقيقته إخضاع لهذا الفرد لأهداف منظومة الهيمنة العالمية وذلك ما يكشف بوضوح عن زيف وتناقض هذه الفلسفات.[12]

أما عن مفهوم الحضارة:

في اللغة: يقال حضرة الرجل: قربه وفناؤه، ويقال: كلمته بحضرة فلان وبمحضر من فلان، أي بمشهد منه. والحضور: نقيض الغيبة والحضر أيضا: خلاف البدو، والمحضر: المرجع إلى المياه، والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف وفلان حاضر بموضع كذا، أي مقيم به. ويقال: على الماء حاضر. وهؤلاء قوم حضار، إذا حضروا المياه، ومحاضر .[13]

وفي الاصطلاح: هي "جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره، والحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة أو مهمة معينة".[14]

"وتعتبر الأفكار جوهر الحضارة، فإن حضارة ما هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ.

ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته، إنه يتجذر في محيط ثقافي أصلي يحدد سائر خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى".[15]

---

[12] ينظر: عبد الوهاب المسيري، الانسان والحضارة والنماذج المركبة

[13] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،632/2.

[14] ينظر: مالك بن نبي، «مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص41 .

[15] ينظر: مالك بن نبي، «مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص42 .

ولذلك فإن التطرق لأهمية العلوم الإسلامية هو في الحقيقة تطرق إلى أهمية المعرفة التي أنتجها كل علم من تلك العلوم بفضل المنهج والضوابط التي اتبعها في الدراسة للتمكن من إنتاج تلك المعارف الصحيحة في مجملها والبعيدة عن القصور والتحامل والتشوه. وإن المعرفة الإنسانية اليوم هي إلى تزكية معارفها أحوج منها إلى مزيد من المعرفة والعلم لبلوغها الغاية الكبيرة في تحصيلهما فصارت مهمة العلماء والمفكرون المسلمون المعاصرون إلى تمحيص تلك المعارف على ضوء المعرفة الإسلامية بقصد تزكية الإنسان من خلالها تخلية وتحلية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾[16]، باعتبار أن المعرفة الإنسانية هي التي تشكل جوانب الإنسان المتعددة من تصورات وقيم ووجدان وتوجيه للسلوكيات والتي تسهم بدورها في صناعة الحضارة .

والمقصود بالمعرفة الإنسانية في الاصطلاح هي جميع المعارف والخبرات التي أدركها الإنسان ووصلت إليها البشرية عبر التراكم المعرفي للأجيال والتي تشمل جميع مجالات حياة الإنسان وجوانبه، والتي ساهمت في إثرائها جميع العلوم على تنوعها واختلاف مواضيعها ومناهجها، سواء الطبيعية والتطبيقية منها والتي اهتمت بطبيعة الأشياء المادية والقوانين الحاكمة لها، أو الإنسانية والتي اهتمت بدراسة جوانب الإنسان المختلفة الداخلية والخارجية التي تحكم سلوكه، والتي يؤثر ويتأثر بها، ومنها النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، التربوية، الإدارية، التاريخية، الجغرافية، السياسية، القانونية، الإعلامية والفنية، وغيرها.

2.2 دور العقيدة وعلم القرآن والتفسير في تزكية القيم والمعرفة الإنسانية:

علم العقيدة يطلق على علم التوحيد والصفات، وهو "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه".[17]

وأما مسائله فهي كل حكم نظري لمعلوم، أي يتوقف عليه إثبات شيء من العقائد الدينية، وغايته حفظ قواعد الدين عن أن يزلزلها شبهة المبطلين.

أما علوم القرآن فتطلق على العلوم والفنون التي يشتمل عليها القرآن وتستخلص منه كعلم القراءات والبلاغة والنسخ وعلى رأسها علم التفسير فهي ترجع إليه حيث تعين للمفسر على إدراك حقائقه والاطلاع على أسراره ودقائقه ومقاصده[18]، وأهمها التفسير

---

[16] البقرة: 129 .

[17] ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، 1/ 29 -31 .

[18] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 09/1 .

وهو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج إلى معرفة أسباب النّزول والناسخ والمنسوخ.[19]

والمراد دور المعرفة الناتجة عن كل من العقدية والمعرفة بمقاصد القرآن الناتجتين عن هذين العلمين في تهذيب المعارف والعلوم الإنسانية، حيث أن معنى المعرفة وغاياتها تختلف بين النظرة الإسلامية والنظرة الوضعية، ولذلك اهتم المفكرون المسلمون المعاصرون بنظرية المعرفة وهي تقوم على تحليل وفحص المعرفة العلمية ومدى موضوعيتها وصحتها ثم تقويمها من خلال النقد لمناهج البحث في العلوم التجريبية والانسانية، بتوجيه تصورات المسلم عن مختلف القضايا وتفسيراته ونظرته لمختلف الأحداث والوقائع وفق التصور الإسلامي والرؤية الإسلامية الناتجة عن الرؤية الربانية الشاملة النابعة من النظرة المقاصدية القرآنية والعقدية، والتوجيهات النبوية.

ولذلك اهتموا بأسلمة المعرفة وهي إعادة صياغة المعرفة الإنسانية وفقا لوجهة النظر الإسلامية؛ والعمل على مشروع التأصيل الإسلامي لهذه العلوم و ودرء التباين بين العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية والإنسانية من خلال نظرية معرفية إسلامية، وتعد جانبا أساسيا من جوانب متعددة في بناء الفكر المتميز للأمة الإسلامية، ولا تلغي الإنجازات المعرفية والعلمية والحضارية للعلوم المختلفة، بل تسعى للمحافظة عليها وتمحيصها ووزنها بميزان الإسلام، وتسهم في تكوين عقليه علمية منهجية، وتقديم معارف وفق الرؤيا الإسلامية للكون والحياة والإنسان من خلال التأصيل الإسلامي للعلوم اعتمادا على العلوم مبثوثة في الكتاب والسنة وكتب التراث الإسلامي، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح، مع الواقع المشاهد كمصادر للمعرفة بحيث يستخدم التصور الإسلامي كإطار نظري لتفسير المشاهد الجزئية، وفي بناء النظريات العلمية المختلفة، "وتشمل مقاصد تحصيل العلوم، وطرق دراستها، ووجوه استخدامها في ضوء التربية الإسلامية"[20]

وفي إطار قيمي حضاري شامل للفرد والمجتمع، للفكر والعمل، والممارسة للمعرفة والعمران، للدنيا والآخرة، يبتغي بها الإنسان المسلم مرضاة الله سبحانه وتعالى.

---

[19] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 13/1.

[20] ينظر: عماد عبد الله محمد الشريفين، أسلمة العلوم النفسية والاجتماعية عند الفاروقي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، ص445 –ص484 .

وغايات المعرفة الإسلامية هي التزكية وتحقيق عبودية الله والحق والخير والجمال الموافق للفطرة وليس لتزيين الشهوات والباطل واتباعا للأهواء وتحقيق المتع والملذات على حساب المعنى والغاية فكل معرفة لا تتوافق وما فطر عليه المخلوق تأذن بخراب التربية وكل العمران.[21]

ولذلك الحضارة الإسلامية في جملتها كانت حضارة انسانية وعمرانية متوازنة جمعت بين التقدم المادي والرقي الأخلاقي والانساني وكذلك هي الفتوحات الاسلامية كانت تبليغا للهدى وتحريرا للإنسان وليس استعبادا واستضعافا وظلما.

وأن الضعف نخر في الأمة حتى انحدرت عن الركب الى التخلف والركود بسبب بعدها عن امتثال المنهج الرباني ونور الوحي ما أفقدها حصنها ومنعتها الذي فسح المجال بسهولة لتكالب الأعداء عليها وتوغل كيدهم المستمر بها.

وأن الحقيقة التاريخية أن الأمة المسلمة لا يمكن أن تنهض ماديا دون دافع إيماني وقيمي يكون هو الدافع والمحرك لها ولذلك حين تنحرف الأمة عقديا وسلوكيا عن الإسلام تنحرف وتضعف حياتيا وماديا[22]، وهذا من خصوصية هذه الأمة لترجع لدينها وشهودها على الناس فان رقيها بعيدا عن الدين فتنة للذين كفروا واضمحلال لحجة الله في ارضه وهو عدم الاستغناء عن التوحيد والايمان والتقوى فالكافر إذا أعرض واستكبر مع أخذه بالأسباب والجد واستغلاله للكون المسخر للبشر بالعلم والعمل فتحت عليه الدنيا استدراجا ومدا في الغي وتعقبه العقوبة بينما المؤمن والموحد إن أعرض وأصر ضيق عليه في الدنيا حتى يرجع إلى سواء السبيل لأنه معد للفوز بالآخرة.

فلا بد من إيجاد نظام اجتماعي وتعليمي تهيمن عليه العقيدة الإسلامية، وتحكم سائر جوانبه الروح الإسلامية وشعور الاعتزاز بها، لأن ذلك من أهم مقومات الفاعلية الحضارية واستخدام المنهج الإسلامي المستمد من أصول الكتاب والسنة في التعامل مع المباحث والدراسات المعرفية من خلال التأصيل والتفسير الإسلامي للعلوم والمعرفة واعتبار الرؤيا الإسلامية في مجابهة مشكلات العصر وهذا بعد تحكم وهيمنة الفكر والثقافة الغربية في صياغة تصورات البشر في هذا العصر وتوجيه قيمهم وتصرفاتهم مكنها

[21] ينظر: عبد الحليم بوهلال، من أسلمة العلوم إلى العلوم وفق الفطرة، مجلة العلوم الاجتماعية، ص 159 - 170 .

[22] ينظر: محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 99- 100.

من ذلك ما أنتجته واكتشفته من معارف في مختلف العلوم الطبيعية التجريبية العقلية والانسانية باستخدام مناهج في الدراسة تتمثل في فصل المادي عن الروحي[23] والنظرة الأحادية الاختزالية بدل النظرة الربانية القيمية الشمولية والمتكاملة.

لقيامها على مناهج وضعية تستبعد العقل والدين والقيم الأخلاقية وتعلي من قيمة التجربة والحواس كمصدر وحيد للمعرفة، "فهذه النظريات أحدثت اضطرابا في نظرتها إلى الإنسان، بسبب إصرارها على تفسير الكل الإنساني بالجزء الذي تهتدي إليه، ولا يقف خطؤها بإعطاء صورة مشوهه ومزورة عن الإنسان، بل تضيع كذلك الاستفادة من الحقائق الجزئية ويزيد الخطأ حين تنشأ على أساس هذه النظرة الجزئية نظريات في الاقتصاد، والاجتماع، والأخلاق، والسلوك وينتهي الأمر إلى تدمير الإنسان بسبب جهلنا المطبق بحقيقته بما يفتقر إلى وجود أي منطق متماسك[24]، وبسبب نظرتها الحتمية للإنسان التي تلغي حرية الانسان وإرادته في الاختيار والشعور والتفكير وتجعله خاضعا خضوعا حتميا إما لعامل مادي أو غريزي شهواني أو اجتماعي واستبعاد العامل الديني والقيمي في تصحيح وتوجيه الفكر والمشاعر والسلوك الإنساني، حيث يؤكد القرآن وعقيدة الاسلام أن الانسان منح عقلا وحرية على الاختيار.[25]

فمعرفة الثوابت الإسلامية الناظمة للحياة البشرية والمستمدة من مصادر التشريع وفهم العلماء ويصادق عليها كل من الفطرة والعقل السليمين يعدّ الركيزة الأساسية لتسديد مختلف العلوم والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

فإن الإسلام قائم على وحدة الحقيقة المستمدة من وحدانية الله سبحانه وتعالى، ولا تعارض بين العقل والوحي، والحقيقة الحسية الواقعة، والتي تؤدي كلها إلى تحقيق الغاية من الوجود الإنساني وهي عبادة الله تعالى وشكره أن سخر له الكون و الأرض لأجل تعميرها وإنفاذ القوانين والقيم الأخلاقية والدينية في ممارساته الفعلية للحياة عليها.

لذا لابد أن يتمكن الباحث من أصول المعرفة الإسلامية والفكر الإسلامي المتمثل بالتراث الإسلامي فإن المصدر الأول للمعرفة الوحي، وهو يعد مهيمنا ومصوبا وموجها

---

[23] ينظر: عماد عبد الله محمد الشريفين، أسلمة العلوم النفسية والاجتماعية عند الفاروقي، ص 451 - 462.

[24] ينظر: محمد قطب دراسات في النفس الإنسانية ص 23.

[25] ينظر: **محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 94-** 95.

ومقوما لما تصل إليه الأبحاث الناشئة عن الحس والعقل، وذلك لما فيه من حقائق ومبادئ ومسلمات وقواعد من خالق الإنسان والعالم بما فيه وما يصلح له و إجابة عن الأسئلة الكبرى التي تتولد عن العلوم الإنسانية والاجتماعية، والمتعلقة بالإنسان وطبيعته وخصائصه، وبعلاقته بخالقه وعالم الغيب، وسائر الخلق وتوضيح غايات الوجود.

"فإن النمط الإلهي ليس فقط شيئا معياريا يتمتع بشكلية مقدسة للوجود لا تتصل بالحقيقة الواقعة، بل إنه أيضاً يعد حقيقياً بمقتضى أن الله قد جعل الحقيقة تميل إلى تجسيده على جميع الدراسات التي تتصل بالفرد أو الجماعة بالدين أو العلم، أن تعيد تنظيم نفسها تحت مبدأ التوحيد؛ لأن الله هو مسبب الأسباب وتعد المعرفة معرفة لإرادته وحكمة وتدبيره لذا علينا أن تلتزم بالنمط الإلهي، فعلوم الإنسان التي تدرس الإنسان وعلاقاته يجب أن تقر أن الإنسان يحيا في ملكوت الله وحكمه"[26]،

وكذلك العلوم التجريبية والتقنية التي تدرس مختلف الظواهر لا بد من ردها الى الخالق الصانع الواحد وهو ما يشهد له التاريخ العلمي والحضاري للأمة التي حركها وازعها الديني للتفكر واكتشاف الكون وتسخيره بما يحقق غايات الإسلام العليا.[27]

فلابد أن يكون المصدر الأول الذي تنبثق منه المعرفة هو الوحي قرآنا وسنة، والعقيدة الإسلامية والإيمان بالله مصدر الخلق والتدبير جميعا وبإضافة البعد الديني القيمي وهذه هي الحقيقة التي ينبغي أن تلف جميع الظواهر الإنسانية نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية وعلى ضوئها تفسر وتحلل وتمحص كل ما ينتجه الفكر الإنساني في مجالاته المتعددة، وذلك لظهور قصور الفلسفات الوضعية الحديثة عن فهم وتفسير سلوك بعض الظواهر الفيزيائية الحديثة وانهيار مبدأ الحتمية وظهور معضلة الوعي وأثره على المادة والطاقة، وعجزها عن تفسير السلوك الإنساني والظواهر الإنسانية بعد اعتمادها على الخبرة المحسوسة وإقصائها لدور المعاني والعقل والقيم والخبرة الشعورية في تحصيل العلم والحقيقة نظرا لتداخل الروح والعقل مع الجسد في تكوين الذات وهذه المعرفة الشاملة والمتكاملة هي التي تزكي جوانب الإنسان ونشاطاته وتسهم في تكوين شخصيته الفكرية والنفسية والاجتماعية.[28]

---

[26] ينظر: عماد عبد الله محمد الشريفين، أسلمة العلوم النفسية والاجتماعية عند الفاروقي، ص 461- 476.

[27] ينظر: عماد عبد الله محمد الشريفين، أسلمة العلوم النفسية والاجتماعية عند الفاروقي، ص 461- 476.

[28] ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، ص327 - 372.

وذلك بتوحيد القراءة الكونية والقرآنية تحت عبادة التفكر والتدبر في آيات الله ليتحقق العبد بالإيمان ويصل لدرجة اليقين فيكون العلم وسيلة نحو التزكية والتواضع والذكر بدل الاستغناء والطغيان والالحاد والتكذيب وإشباع المتع.

فالشهوات أصيلة في تكوين الإنسان ولكنها أودعت فيه لتكون قوة دافعة نحو الخير والإعمار فإذا انحرفت به عن المسار الصحيح صارت قوة مدمرة دافعة نحو الشر والفساد كما أنها نقطة اختباره فهي نقطة ضعفه وقوته فإذا تحداها وتجاوزها ارتقى إلى مولاه تعالى وأفلح في دنياه وآخرته أما إن وقع في شباكها ساقته للفساد والخسران.

ولذلك فإن الأخلاق والقيم هي جوهر الإنسان وما يمثل كيانه و هي من صميم علم الاجتماع، إلا أن الحياة المعاصرة عزلت سلطان الدين والقيم كما قوضت سلطة المجتمع تغليبا للنزعة الفردية والحرية الشخصية ثم منحت سلطة الاستعباد والاستغلال للنظام الرأسمالي المتوحش، كما أنشأت صراعا وبغضا وعداء بين الفرد و والمجتمع، وإن الجنوح نحو ظواهر الخمر والمخدرات والجريمة من الدلالات على عدم انسجام الفرد المعاصر مع واقعه وفي علاقاته الاجتماعية وابتعاد السعادة من حياته رغم ما وصلت اليه البشرية من تطوير وسائل الترفيه والراحة واللذة، بينما في المجتمع المسلم يقل الصراع بين الفرد والمجتمع ويزيد الانسجام والترابط بينهم لالتقائهم على الثوابت والعقيدة،[29] ويكون التوازن بين إثبات الذات وتوكيدها وبين الاجتماع بالآخرين والأنس بهم والتعاون والتعاطف معهم في توازن بين إشباع حاجته للحرية والخصوصية وحاجته للاجتماع والصحبة ويضبط تلك العلاقات الدين والثوابت من حسن الخلق وكف الأذى فالكل سائر نحو الله سواء في عبادات الشخص الفردية أو عباداته الجماعية كالتعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بخلاف غير المؤمنين تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى.

ويمكن اعتبار المنهج الإسلامي الأسوب الأمثل للتعامل مع الدراسات الإنسانية الحديثة إذ لا يقتصر على المسلمين والدراسات الإسلامية، لتصبح النتائج أقرب لليقين والحقيقة المتكاملة بوجود النظرة الإيمانية التي تحوطها والتي تقوم إلى جانب التجربة والحس على النقل والعقل والإلهام الروحي، وهذا ما يساعد على تقدم البحث العلمي

[29] ينظر: محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 116.

وتقدم المعرفة الإنسانية في هذه المجالات ببلوغ درجة الرسوخ في هذه العلوم باعتبارها هبة من الله لمن اتقاه فيزيده علما فوق ما يحتسب ويسعى.

هذا بخلاف علماء الغرب في الاجتماع والاقتصاد وغيرها الذين يبعدون الدين عن أي دراسة ويرفضون المنهج العقلي والتفسيرات الدينية العقدية والغيبية لأي ظاهرة نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية ويرفضون قيام العلوم الإنسانية على أسس ومعرفة دينية، لاتباعهم المنهج التجريبي كمنهج علمي وحيد وإقصاء الخبرة الروحية والعقلية من مجال العلم لنظرتهم المادية للأشياء والظواهر والأمور بعيدا عن الاتجاه الديني والعقلي والروحي كمصادر للمعرفة، واهتمامهم بالنظم والوسائل والأدوات مع اهمالهم الشديد للقيم.[30]

3. دور المعرفة الكلامية والفقهية في تزكية الفكر، السلوك والوجدان الإنساني:

1.3 دور علم الكلام وأصول الفقه في تزكية الفكر والمنهجية البحثية:

أولا: دور علم الكلام في تزكية الفكر:

علم الكلام: هو "علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام".[31]

وقد ضبط المتكلمون مصادر المعرفة وجعلوا أسماها هو الوحي ثم يليه العقل فالحواس والوجدان، ولذلك اهتم المتكلمون بدور العقل كأداة ووسيلة للمعرفة، وبدرء تعاض العقل مع النقل باعتبارهما مصدرين أساسيين للمعرفة.

كما قسم العلماء المتكلمون على طريقة الفلاسفة العلم إلى قطعي يقيني وهو ما يتضمن حقائق مطلقة ونهائية غير قابلة للشك والاحتمال وطريقه هو التسليم العقلي للضرورات العقلية ومنه مالا يحتاج إلى مقدمات وهو البديهيات كالمعارف الفطرية الأولية كمبدأ السببية ومنه ما يقوم على مقدمات، وجعلوا أصول العقائد الإسلامية من هذا القسم كالإيمان بالله تعالى وتوحيده حيث يمكن إثباتها عبر الأدلة العقلية المتعددة كدليل الصنعة، فالصنعة لا بد لها من صانع، والحادث لابد له من محدث واستحالة الدور والتسلسل.

وإلى علم ظني قابل للشك والاحتمال والتقويم وطريقه النظر العقلي والفكر والاجتهاد والكسب ويشمل الفروع العقدية والشرعية.

---

[30] ينظر: **محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 372** .

[31] ينظر: الجرجاني، **التعريفات، ص156** .

كما قسموا الوجود الى واجب ومستحيل وممكن وهذا يقي من كثير من الشكوك والشبهات والمغالطات والاشكالات المحيرة للعقول فكل ما لا يستطيع العقل البرهنة على استحالته وجب عليه التسليم بجوازه وامكانه فإذا ثبت ترجيح وجوده بالعقل كوجوده تعالى واجب "فما كان محتاجا كان ممكنا وكل ممكن فلابد أن يستند وجوبه إلى سبب واجب الوجود فحصل من هذا أن صفات الكمال والاستغناء كلها لا يصح إيجاد موجود محدث إلا ممن اتصف بمجموعها وأن من لم يتصف بها فلا يصح منه إيجاد موجود"[32]، أو عن طريق الخبر الصادق عن طريق الوحي والنبوة صار واجب التصديق به كالإيمان باليوم الآخر ووجود الملائكة والجنة والنار وغيرها من المعاني الإيمانية الغيبية.

فجعلوا النقل مقدما على العقل وحاكما عليه في المسائل الدينية التعبدية والتوقيفية كما درؤوا تعارض العقل الصحيح مع النقل الصريح عن طريق الجمع والتوفيق بينهما دون إهدار أي منهما فيما أنتجه وقاد إليه من معرفة وذلك في المسائل الدينية الاجتهادية الظنية كمسائل التأويل والتعليل والتحسين والتقبيح وغيرها.[33]

فيكون فيها العقل عاصما من الزلل، دون أن يعصف به غرور الندية المتوهمة أمام النقل ومسلمات الشرع والاخبار الغيبي ولا ينزوي ليسمح بتسلل الخرافات والمحالات إلى حيز الإمكان والترجيح.

ولذا ينبغي التفريق بين المعارف والحقائق العلمية المحضة القائمة على المنهج التجريبي والاستنتاج الرياضي وما أدى إليه ذلك من تقدم علمي وتقني، وبين النظريات الفلسفية التي أنتجتها الحداثة الغربية القائمة على الفرضيات والظنون والتي تعتبر قابلة للنقد والتفنيد باعتبارها تفسيرات فلسفية ميتافيزيقية تتصادم مع الأصول العقدية الإسلامية كآراء الفيزيائيين الغربيين حول النشأة الصدفية للكون، أو نظرية تعدد الأكوان، وآراء البيولوجيين حول نظرية التطور، والحتمية الجينية الوراثية، والحتمية الاجتماعية عند دوركايم والحتمية الجنسية عند فرويد[34]، والتي صدرت عن إلحاد وتكذيب بالوحي كمصدر أصيل للمعرفة جعلت العقل في تحير وتخبط وتناقض.

---

[32] ينظر: القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، ص73 .

[33] ينظر: أبو الحسن الاشعرين مقالات الإسلاميين 2/ 363 .

[34] ينظر: محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 372 وما بعدها .

وفي المقابل هناك من نحى نحو المعارف الشرقية ذات الصلة بالديانات الوضعية البوذية والهندوسية فاستقى كثيرا من المفاهيم التي تتعارض مع نصوص الوحي والمعتقدات الإسلامية الثابتة كوحدة الوجود والحلول وهي معارف عرفها التراث الإسلامي ونقدها وجابهها والتي كانت قد تسللت عبر الفرق الباطنية والغنوصية وغلاة الشيعة، وهي تصطدم مع العقيدة الإسلامية التي تبغي تحرير الإنسان من هواه لتحقيق عبوديته لمولاه وليس تحريره من الأديان ليصير متألها بذاته.

فلابد أن تكون المعرفة الإسلامية العقدية دينا يدين العبد الله بها وينتقي ويمحص المعارف الإنسانية والعقلية على وفقها، ولذلك فإن هذه المعارف المشوهة والضالة التي تخلط الحق بالباطل لا يمكن أن تشفي غليل الحيران أو أن توصله إلى بر الأمان والسلام الذي يبحث عنه الإنسان في هذه الحياة بل تزيده حيرة وتخبطا: ﴿ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[35]، **قال تعالى:** ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾[36]، ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾[37]، **لأنها منحت العقل السلطة المطلقة في التحسين والتقبيح فكان انحرافا منهجيا بينا، ولذلك تبقى دوما المعارف الوجودية عصية على الولوج إليها إلا من بابها الطبيعي وهو باب الوحي المخبر بالغيب، مصداقا لقوله تعالى:** ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾.[38]

كما جعلوا التلازم بين العلة والمعلول في مجرى العادات والسنن الكونية جائزا وليس بواجب سواء على قو ل الأشاعرة بفاعلية الله للكون ونفي وجود الخاصية المؤثرة في الأشياء أو على القول بإثبات ذلك، لأن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات وبيده مقاليد تدبيرها، ولذلك أمكن خرق تلك العوائد بإيجادها من دون أسبابها عبر المعجزات والكرامات الإلهية، وهذا ما قادت إليه نظريات الفيزياء الحديثة المتعلقة بميكانيكا الكم حيث نسفت بنظرية الحتمية والقدرة على التنبؤ المقررة في الفيزياء الكلاسيكية[39]، وكذا النظرية التأويلية التفكيكية التي تسقط حقيقة التلازم بين المفردة ومعناها الوضعي اللغوي أو العرفي أو الشرعي.

---

[35] التوبة: 45.

[36] طه: 123.

[37] الأنعام: 153.

[38] البقرة: 02 .

[39] ينظر: رولان أومنيس، فلسفة الكوانتوم، فهم العلم المعاصر وتأويله، ترجمة أحمدفؤاد باشا ويمنى طريف الخولي .

كما ذهب المتكلمون إلى نفي التقليد في أصول العقيدة باعتبارها قضية عقلية قطعية لا يجوز فيها النفي والإثبات معا[40]، ووجوب أدنى النظر والاستدلال للوصول إلى المعرفة اليقينية في الله تعالى والمراد بذلك تحريك داعي الفطر والعقل للتأمل والتدبر في الكون والقراءة الكونية البسيطة التي بمقدور عوام الناس وليست المركبة والجدلية الخاصة بالعلماء ليصل إلى يقين لا ينازعه شك في وجود الخالق سبحانه باعتبار معرفة الله تعالى معرفة فطرية ومسلمة عقلية عليها أدلة قطعية يقينية لمن تحرر من دواعي الهوى، بينما التقليد المذموم في العقائد هو الاتباع محض مع تعطيل العقل مما يورث الظن ولا يوصل للمعرفة بحال ولذا لم يذكر الذم في القرآن الكريم إلا على سبيل الذم، بينما يجوز التقليد في الشرعيات والعمليات لأن الدليل فيها مركب وظني.

ولذلك ذهب المتكلمون إلى أن الحق في العقائد والأصول واحد مطلق لا يتعدد فمن أصابه أصاب الحق ومن أخطأه كان آثما مقصرا، بينما اختلفوا في الظنيات والفروع الفقهية الاجتهادية فمنهم من قال بأن الحق عند الله واحد لكن مجانبه معذور مأجور لاشتباه الأدلة ومنهم من قال بتعدد الحق وتصويب جميع الآراء الاجتهادية القائمة على دليل[41]، وهو آيل إلى القول بنسبية الحق فيها واحتماليته له جميعا وأنها بمجموعها تشكل المعرفة التامة به لتعدد وجوه النظر، فكل آخذ بجانب من الحقيقة باعتبار الأحوال المختلفة له تماما كتنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع يختلف باختلاف الظروف الناشئة والمتغيرة وبحسب ترجيح كل فقيه للحكم المناسب على مستوى التطبيق.

وهذا لا يعني نفي وجود الحقائق المطلقة والثابتة في الواقع وإثبات التغير والاحتمالية المطلقة للحقائق كما انتهت إليه فلسفات ما بعد الحداثة كالتفكيكية والعبثية العدمية[42]، إنما سبق تقرير ثبوت الحقائق المطلقة في باب الأصول والعقائد كوجود الله تعالى دون غيرها من العلوم القابلة للاحتمالية والنسبية لاشتباه الأدلة فيها وتفاوت الأفهام والمداك والعقول حولها فلا يخلو رأي علمي فيها من إدراك جزء من الحقيقة مما يدفع نحو مزيد من البحث والتحري للوصول إلى الحقيقة المتكاملة عبر التراكم المعرفي وذلك كتطور تفسير الجاذبية تاريخيا من مفهوم نيوتن عن جاذبية الأشياء إلى مفهوم أينشتاين عن نسيج

---

[40] ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ،4/ 178.

[41] ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ، 4/ 183 .

[42] ينظر: عبد الوهاب المسيري. *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*، ص 301 - 310 .

الزمكان الكوني، كما قد تتعدد المعرفة المتعلقة بالمعاني الوجدانية والذوقية بحسب أبعاد النظر إليها والوعي بها وتكون جميع الوجوه آخذة بشيء من الصحة وهو معروف لدى أرباب التصوف كاختلاف النظر للأقدار والمصائب بين من يتألم بسببها ومن يتلذذ بها لتذوقه لمعنى اليقين والرضا بأفعال الحكيم الرحيم تعالى فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾[43].

ثانيا: دور علم أصول الفقه في تزكية المنهجية البحثية:

علم أصول الفقه هو "أدلة الفقه وجهات دلالتها على الأحكام الشرعية وكيفية حال المستدلّ بها من جهة الجملة"[44]، ويطلق باعتبار اللقب على "العلم بالقواعد التي يتوصّل بها إلى الفقه"،[45] وهو يستمد من علوم العربية وعلوم القرآن وعلم الحديث.

وقد صيغ علم أصول الفقه كمنهج يتسم بالصلابة والمرونة معا للتعامل مع النصوص واستنباط الأحكام الشرعية منها وضبط وتوجيه وتقويم العملية الاجتهادية لكنه منهج علمي يحوي ما يؤهله ليكون منهجا علميا متكاملا يمكن الاستفادة منه، واستثماره في تطوير وتأطير الدراسات في مختلف العلوم الإنسانية من خلال التدبر والاستنباط من مصادر التشريع الإسلامي المختلفة والمتنوعة النقلية منها كالقرآن الكريم والسنة النبوية والعقلية كالقياس والاستقراء والاستدلال.

كما يعتبر أصول الفقه ببنائه المحكم المتكامل ومنهجيته العلمية والمنطقية الصلبة الرصينة نظرية متكاملة منسجمة ومتسقة قادرة على تكوين عقل المسلم وتوجيهه وإكسابه المنطق الإسلامي في التفكير والتعامل مع مختلف القضايا الفكرية والمعرفية، بعيدا عن التناقض والتخبط بفضل تناولها لقدر كبير من المسائل والاشكاليات المعرفية بالتحليل والفهم والتنظيم والبناء المعرفي.

فالدارس لأصول الفقه يزيده قوة إلى قوته المعرفية ومقدرته الفكرية وفي تكوين ملكة نقدية جدلية قادرة على الترجيح بين الآراء وتزييف المتهافت منها، و في حل مختلف الاشكالات الفلسفية والكشف عن المغالطات والتناقضات في عرض الآراء وطرح الافكار

---

[43] البقرة: 216 .

[44] ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ، 1/ 7 .

[45] ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1/ 38 – 40 .

والنظريات والفلسفات المتعلقة بالوجود وغيرها من القضايا الفكرية، حيث يحمي من الجدل العقيم والزلل الفكري وتهافت الأدلة والاستدلالات من خلال ما تميز به من قواعد لنقد الأدلة من حيث الصحة النقلية وكذا الصحة العقلية باستعمال القواعد المتعلقة بالتعارض والترجيح وتقديم الأولى فالأولى من الأدلة والقواعد الأصولية، ومن خلال درء التعارض باستعمال منهج الجمع والتوفيق بين المتعارضات الظاهرة بإيجاد نظرة وسطية تفصيلية تضم خير الضدين وتجتنب شرهما بدلا من الرفض الكلي أو القبول التام لأحد الرأيين المتضادين جملة وتفصيلا كالقول بالاستحباب بدل الوجوب عند عدم انتهاض دليل الفرضية والقول باختلاف التنوع في الأحكام بحسب الأحوال.

وهذه النظرة التوسطية التفصيلية من أهم المناهج التي تجمع خير ومحاسن ما قيل في الرأيين والعلم الكامن في كل منهما بدل ضربهما ببعضهما ونسفهما جملة وتفصيلا.

وكذلك باستخدام قوادح القياس كالقياس مع الفارق والقول بالموجب وقلب الدليل وغيرها في الرد على شبه الخصوم والمدعين الذين يبغون الدين عوجا وإبطالها وكشف عوارها حيث لها أهمية كبيرة في علم الجدل والمحاججة وتمحيص المعارف وتزييف الباطل منها الذي لا يستند إلى علم ولا قانون سوى الهوى والتردد والظنون: ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.[46]

كما يمكن الاستفادة من شروط الاجتهاد وضوابطه في الرد على الحداثيين المتأولين للقرآن الكريم والمحرفين لمعانيه وأحكامه وأخباره من خلال قراءاتهم الشاذة وغير المؤسسة على أية قواعد ثابتة وموضوعية، فلا بد للخائض في معاني القرآن أن يكون مستجمعا لعلومه ومنها العلم بالناسخ والمنسوخ وبأسباب النزول وباللغة العربية وملما بعلم دلالات الألفاظ الذي وضح قواعد اللسان العربي كالخاص والعام والحقيقة والمجاز والمطلق والمقيد وحدد ضوابط الاستنباط منه والتأويل المقبول من التأويل الفاسد.

حيث يعتبر علم دلالات الألفاظ مؤسسا لفقه اللغة واللسانيات وضابطا للعلاقة بين اللفظ والمعنى وأوجه الحقيقة والمجاز والبلاغة وتقاسيمها الذي يساعد في تحليل النصوص من محكم ونص و ظاهر وصريح و كنائي، وشروط التأويل ومتى يمتنع تأويل الكلام ومتى

[46] الجاثية: 32 .

يسمح به وما هي حدوده وضوابطه. كما تسهم في تأسيس النظرية اللغوية واللسانية والمناهج النقدية للنصوص الأدبية.

كما ناقش أصول الفقه إمكانية المعرفة[47] ومدى ثبوت المعرفة العقدية والفقهية المعتمدة على الإجماع السكوتي والأخبار الضعيفة والمرسلة لاحتمال الخطأ في نقلها، وكذا عمل الصحابي وعمل أهل المدينة لاحتمال الاجتهاد وعدم ثبوت الرفع فيها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وما يصدر من تصرفات النبي عليه الصلاة والسلام على سبيل الجبلة والطبيعة البشرية ويكون مصاحبا للتشريع ومدى دلالته على الأحكام الشرعية، -وذلك لتنوع التصرفات النبوية في دلالتها على التشريع بتنوع المقامات باعتباره نبيا مشرعا أو قاضيا مجتهدا أو بشرا-.

ولذلك فإن للمعرفة الأصولية دور هام في ضبط منهج وأدوات المعرفة بكل موضوعية واتزان و لها دور هام في بناء العقل المسلم وبناء منهج التعامل مع الحياة عموما من حيث اتخاذ القرارات وتنمية الملكة النقدية لمختلف المعارف التي يتلقاها الفرد والاستفادة منها عمليا في انتاج وتمحيص مختلف المعارف الناتجة عن العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

حيث ضبطت المصلحة الشرعية وهي من أهم المعارف التي تزل فيها الأقدام وتنحرف فيها العقول بين إفراط أو تفريط بداعي الهوى غير المؤيد بنور الوحي وهديه، ولذلك أنتجت المعرفة والعقلية الأصولية ما يسمى بالقواعد الأصولية والمقاصدية والقواعد الفقهية وهي ضوابط تعصم العقل من الزلل والانحراف الفكري وتضع منهجا قويا في التعامل مع النصوص والواقع والمزاوجة بينهما في تناغم وانسجام دون تناقض، بالتعامل مع النصوص الشرعية فهما واستنباطا بدلالة الواقع بلا تبرير له ولا تجاف عنه.

ومن جملة تلك القواعد والمصادر الضابطة للواقع سد الذرائع والمصالح المرسلة والاستصحاب والعرف وقد اعتبرها الاصوليون مظانا للمعرفة و كاشفة و امارة عليها وليس مصادر شرعية مستقلة بذاتها ولذلك يشترط عدم مخالفتها لصريح النصوص وما ثبت بها من احكام قطعية حتى لا يتقدم العقل البشري القاصر والمحدود بين يدي الثوابت الشرعية.

[47] ينظر: نظرية المعرفة الفقهية، علي طالقاني تقرير عن الورشة التعليمية والبحثية لفلسفة علم الأصول معهد الإسلام الحضاري ومركز الآخوند الخراساني للدراسات العليا موقع الاجتهاد 3 نوفمبر 2019

2.3 دور الفقه والمقاصد والتصوف في التزكية السلوكية و الوجدانية:

أولا: دور الفقه وعلم المقاصد في التزكية السلوكية:

يطلق الفقه على "إدراك الجزئيات عن دليل"، وهو "العلم المتعلّق بالأحكام الفرعية العملية ويسمّى علم الشرائع والأحكام"، وخصّوه بعلم الفتاوى والوقوف على دلائلها وعللها،[48] وعلى "معرفة النفس ما لها وما عليها عملا" لإخراج الاعتقاديات فمحلها علم الكلام، و الوجدانيات فمحلها علم الأخلاق والتصوّف.

وعلم المقاصد هو العلم بالغايات الكلية العامة من التشريع الإسلامي والحكم والمعاني الجزئية لمختلف الأحكام الشرعية، الضرورية منها والحاجية والتحسينية، والتي تدور حول الكليات الخمسة وهي حفظ الدين، النفس، العقل، النسل والمال.

إن ما يميز التشريع الإسلامي والفقه هو شموليته لجميع الأنشطة الإنسانية وهو ما يؤكد وحدة المعرفة الإنسانية وتطابقها مع المعرفة الفقهية الإسلامية لأنها معرفة متعلقة بالإنسان وتصدر من الله وترجع إليه في الغاية منها.[49]

حيث يشكل الفقه الإسلامي بجميع أجزائه نسيجا واحدا متكاملا يراعي النفع العام والخاص بما يتوافق مع السنن الكونية والغاية من وجود الإنسان وفي تحقيق السعادة والفلاح والكمال لكل من الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

ومكنه من ذلك تنوع مصادره واستمداده من القرآن والسنة النبوية واسترشاده بالوحي والعقل معا.

وما يميزه أيضا هو اهتمامه بالجانب العملي والتطبيقي من الإنسان لاهتمامه بجانب العبادات ومختلف المعاملات الأسرية والمالية كما اهتم بدراسة الدوافع النفسية والحسية الخارجية المرتبطة بالإنسان، وتلك موضوعات العلوم الإنسانية من سياسة واقتصاد واجتماع وقانون، فالعلوم الإنسانية يمكن إدراجها ضمن المجال الفقهي،[50] فهي تهتم بدراسة الإنسان وكيفية إشباع حاجاته ومعرفة كيانه وطبيعة نفسه ودوافعه وما يحكم معاملاته وعلاقاته بمختلف شؤون حياته، وكذلك الفقه فهو علم تحكمه القواعد من جهة ويستوعب الفروع من جهة أخرى المتعلقة بجميع مجالات الحياة بتحديد حكمها الشرعي

[48] ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1/ 29 .

[49] ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، ص313 . .

[50] ينظر: محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، ص 209 .

وضوابطها، واهتمامه بنشاط الإنسان وسلوكه وتنظيم حياته وجلب المصلحة له ودرء المفسدة عنه تحقيقا لسعادته وفلاحه مع تميزه بربط ذلك كله بالعمل للآخرة وعبادة الله تعالى وطلب مرضاته كما أن معيار حق والباطل والصواب والخطأ عنده هو العدل والاستقامة على أحكام الحلال والحرام وهذا خلافا لبعض المناهج والنظريات الغربية القائمة على نظرة أحادية اختزالية أو قاصرة مختلة أو ظالمة تقدس المادة اللذة على حساب الروح والعبادة فلا تبالي بالعبادات ولا المحرمات أو تقدم الفرد على الجماعة فلا تبالي بالعدل، أو تقوم بتبرير الواقع الفاسد من خلال التأكيد على القيم السائدة بغض النظر عن سلبياتها أو إيجابياتها كالشذوذ والمثلية والربا والالحاد، وجعل قيمها عرضة للتأثر بأي قوة تتعرض لها.

فعلم الاقتصاد مثلا في الفكر الغربي قائم على مشكلة الندرة الموارد، والنظام الرأسمالي قائم على الربا وعدم توفية الأجير حقه وعلى الاستهلاك القائم على الرغبة وليس الحاجة وجعل الكماليات ضروريات عبر تزيينها بالإعلانات، وعلى الترفيه والترف وأسلوب التلهية باللذات وشغلهم عن العبادة والعمل للآخرة ، وعلى تركز الثروة في يد قلة وانتشار الفقر والبؤس عند أغلبية البشر، وقوانين الاقتصاد يحكمها المادة والغريزة ولا علاقة لها بالدين والقيم[51] لذلك لابد للسلوكات الاجتماعية والاقتصادية أن يحكمها الدين ويضبطها حتى لا تنحرف وتجنح نحو ارتكاب الظلم، حتى يقع التصالح والسلام في علاقة الإنسان بأخيه ويتحقق التصالح مع الكون.

كما أن للمعرفة المقاصدية دور هام في بناء المعرفة الفقهية وفي ضبط أخلاقيات المعرفة الانسانية ومقاصدها فهدف الفقه والشريعة العبادة والطاعة وهي ثمرتها الطبيعية كما أنها تعطي الدافعية للمؤمن نحو الاجتهاد والتعمير في الأرض مع الحفاظ على القيم.

حيث توجه تلك المعرفة القائمة على تلك المقاصد تصرفات الأفراد والمجتمعات لتكون متناغمة ومنسجمة وخادمة لتلك المقاصد وليست مجافية أو هادمة لها سواء في مجال العلم أو التقنية أو على المستوى العملي والوظيفي وإن أهم مرتكزات المقاصد هو التمسك بالقيم الفطرية والأخلاق الحسنة غير الخاضعة للتغير والتحديث والتبديل كالأمانة والعدل والصدق والحياء والإخلاص.

[51] ينظر: محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 267.

لأن الأخلاق تعتبر الصفة المعيارية الثابتة في هذا العالم المتغير لتمييز القيم الإنسانية والإسلامية والصحيح من الخطأ والتي ينبغي توجيه وتقويم السلوك البشري نحوها وفي إطارها وهذا خلافا للمنهج النفعي والحسي الوضعي الذي يعتقد بنسبية النظرية الأخلاقية والأخلاق وأنها خاضعة لأهواء المجتمعات وتغير قيمها، لاعتقاده بمبدأ الحتمية سواء جنسية أو مادية شهوانية أو اجتماعية وبالسلوك المحسوس دون البواطن الخفية من روح ونفس وإرادة عاقلة وحرة.

لذلك تعتبر النية أو الدافع أو الإرادة هي جوهر الأعمال وأهم المؤثرات في توجيه السلوك الإنساني والتي اهتم بها الدين الإسلامي عقيدة وشريعة بتهذيبها وبيان أحكامها وتعلقها بالأعمال صحة وفسادا، وأنه ينبغي أن تكون قصود المكلفين موافقة وتابعة لقصد الشارع من التشريع، وأن يكون العمل موافقا لما عليه السنة وهو ما يحدد قبول الأعمال أو ردها.

ومن جملة تلك القواعد المقاصدية والفقهية "قاعدة الأمور بمقاصدها"، ولها دور هام في ضبط النوايا وأهداف المكلفين وتصرفاتهم والحكم عليها صحة أو فسادا حلا أو حرمة، وقاعدة "لا ضرر ولا ضرار" التي اهتمت بالموازنة بين الأضرار والمفاسد الواقعية بتقديم الأعلى على الأدنى، وقاعدة "اليقين لا يزول بالشك" في استصحاب الحال ودفع الأوهام والشكوك التي لا تستند إلى دليل ناقل عن حكم الأصل، وقاعدة "العادة محكمة" وغيرها من القواعد الشرعية الحياتية التي تتلقاها النفوس والعقول بالقبول في تسيير حياتها وتيسيرها و في اتخاذ قراراتها و تحديد خياراتها وترجيح الأصلح لها، و في تنمية مهاراتها النقدية والتحصيلية لمختلف العلوم والمعارف.

فالمعرفة الفقهية لها أهمية بالغة في تعديل السلوك والبلوغ بالإنسان للسلوك السوي في مختلف الأمور المعروضة امتثالا للشريعة وموافقة لها مما يجعله أكثر تيسيرا وتوفيقا في حياته إضافة إلى تنمية الوعي واليقظة عنده تجاه الملهيات والمغريات والمشتتات خلال الطريق كالهوى والشيطان وأكثر شعورا بمن حوله ومساعدة له وانسجاما مع ذاته بمعرفته لربه وعبوديته له وبناء منهج أخلاقي غير متناقض ولا مختل ولا متذبذب في التعامل مع مختلف مجريات والأمور بنظرة واحدة شاملة توحيدية لاستمداده من خصائص الشريعة الاسلامية المتصفة بالكمال والمثالية والوسطية والمرونة معا.

ثانيا: دور علم التصوف والتاريخ الإسلامي في التزكية الوجدانية:

علم التصوف ويسمى أيضا بعلم السلوك: "وهو معرفة النفس ما لها وما عليها من الوجدانيات"، وموضوعه أخلاق النفس وعوارضها الذاتية، وله تعلق بعمل القلب وفقه النفس والباطن والشعور، ويهتم بعلم الحقائق والمنازل والأحوال، كالزهد والصبر والرضا واليقين والتوكل والأدب والفقر.

وغايته أن يتعلم السالك علم آفات النّفس، ومكايد الشيطان للنفس، وكيفية ترييضها[52]، ومنهجه أن يراقب السائر خواطره وأن يطهّر سريرته، ويخلص وجهته وعمله ويديم اضطراره.[53]

وقد اهتم التصوف بالجانب النفسي والبعد الوجداني للدين الاسلامي فقدم بذلك معرفة متكاملة للسالك والمريد والسائر نحو الله تعالى للارتقاء بروحه الى ربه في دنياه ويلج جنة النعيم في الدنيا ويذوق من الأسرار الربانية التي تزيده حبا وشوقا لمولاه وتحمله طوعا إلى طاعته وتقديم مراده على هواه وهي سبب ليكون من المقربين في الدنيا والآخرة كما أن هذه المعرفة ليست مثالية ولا منفصلة عن واقعه بل هي ما يمده بالقدرة والقوة للتعامل مع واقعه بيسر وإحسان في علاقاته مع الخلق واستقامة وورع في معاملاته معهم، كما أن مشاهدة ومعاينة ألطافه تعالى في كل حركة في واقعه يزيده يقينا ورضا ومعرفة وقربا.

ويتم ذلك باتباع المنهج السلوكي العملي المعتمد على مجاهدة النفس للوصول إلى المعرفة الذوقية والكشفية، والدخول إلى الحضرة الإلهية والعناية الربانية ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[54].

وقد أسهمت المدرسة الصوفية السنية والمصادر التي ألفت في التزكية والرقائق والسلوك في إثراء المعرفة النفسية الحديثة التي اهتمت بدراسة أمراض النفس وجذورها وأسبابها وطرق معالجتها، حيث اهتم علم التصوف بفقه النفس وآفاتها وسبل تزكيتها وتربيتها وتنميتها وهي بذلك متداخلة مع معارف علم النفس بل أعمق وأسد منها لاستمدادها من نور الوحي.

---

[52] ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،1/ 42. .

[53] ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،43/1. .

[54] العنكبوت: 69.

وإن أهم معرفة كاملة وعميقة عن النفس نجدها شافية ووافية في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث ذكرت أصناف النفس وأمراضها وطرق تزكيتها عبر معرفة الله ومحبته وطاعته والتقرب إليه ومجاهدة النفس ومخالفة الهوى وأن تحقيق سعادتها في امتثال شريعة ربها وشقاوتها في اتباع هواها ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[55]،﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ ﴾[56]، ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١ ﴾.[57]

فدراسة أثر العقيدة يعتبر ركيزة أساسية في أي دراسة نفسية إسلامية بمقدرتها على التأثير الفعال والتغيير الإيجابي في النفس والمشاعر والسلوك ولذلك اعتبر التحقق بمقام الافتقار لله والانكسار له من أهم مصادر سكون النفس وسعادتها وتحقيق كمالها وجمالها وإشراقها عبر المعرفة الربانية والفيوض والتجليات الرحمانية من طمأنينة وسكينة على النفس والسلوك مما يزيل كل أشكال الصراع النفسي والأمراض النفسية والكبت والاضطرابات السلوكية بتحقيق تنقيتها وتحليتها وترقيتها في تعاملاتها مع الحق ومع الخلق ومع رغبات النفس.

هذا خلافا للمناهج والعلوم النفسية الغربية التي ينطلق علماؤها من نظرة قاصرة غير شمولية ولا توحيدية في التعامل مع النفس وأمراضها واضطراباتها بالتمركز حول الذات الإنسانية والتركيز على الجانب الغريزي والشهواني بها بسبب إنكارهم للروح و تأثير البعد الديني والإيماني على النفس البشرية وإهمالهم لدور العناصر الروحية والأخلاقية في تشكيل الظاهرة الإنسانية والتأثير عليها وفي فهم السلوك الإنساني.[58]

ما أدى إلى تقديم نظريات نفسية غير متقنه وتفسيرات مشوهة ومبتورة رغم ما تحتويه من معارف جزئية قيمة ونوعية يمكن تحريرها والاستفادة منها[59]، كما في العلاج المعرفي السلوكي الذي توصل إليه علم النفس الحديث لعلاج مختلف الاضطرابات النفسية كالقلق والهلع والاكتئاب وغيرها.

---

[55] الشمس: 9 و 10.

[56] الليل: 5 و 6 و7.

[57] النازعات: 40 و 41.

[58] ينظر: محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 368.

[59] ينظر: عبد الحليم بوهلال، من أسلمة العلوم إلى العلوم وفق الفطرة، ص 459 - 462.

فإن توظيف المعرفة الدينية الإيمانية في ذلك كاليقين بالله والرضا بقضائه والتوكل عليه وحسن الظن به وخشيته والثبات على أمره وإدراك صفات جلاله وجماله مما يعين في فعالية العلاج ونجاعته وتسريع الشفاء لعمق هذه المعاني وتحقيقها لأقصى درجات السكينة والسلام النفسي لنبوعها عن معايشة حقيقية صادقة تؤتي أكلها في تعديل السلوك وتطهير القلب من خطاياه وأدرانه والشعور بالأمان والسعة والتمكين فيقبل العبد على الحياة بالطاعة والإحسان والأمل لخلوص وجهته إلى مولاه تعالى فيكفيه جميع ما أهمه وأفزعه ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ ﴾[60]، وقال تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾[61]، بخلاف ما إذا كان المنهج المتبع في تصحيح الأفكار المشوهة أو المشاعر المضطربة ينطلق من أسس مادية بحتة، حيث تكون نتائجها متذبذبة وغير نهائية لمعالجتها للعرض دون غوصها وملامستها للجوهر ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾[62].

لذلك فإن أي اضطراب نفسي قد يعاني منه الإنسان فهو راجع إلى صراع النفس اللوامة بين ذاتها ورغباتها من جهة وقيمها الفطرية الخيرة من جهة أخرى في التعامل مع الذات و علاقاتها وأحداث الحياة من حولها بمتعها وأكدارها، وطمأنينتها لن تجدها إلا بذكر ربها وإن كانت قد تجد بعض اللذات المادية المسكنة لتلك الآلام النفسية مؤقتا وصدق تعالى إذ يقول: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[63].

وإضافة إلى علم التصوف فإن من أهم ما يوقظ ويحرك وجدان الشباب نحو الاعتزاز بقيمها ومجد أسلافها والاعتبار بسائر أحوالهم في الرخاء والشدة هو علمهم ودراستهم للتاريخ الإسلامي فإن التاريخ إطلالة على حضارة أمة في زمان ومكان معينين فيشتمل على دراسة جميع الأنشطة من اقتصاد وسياسة وفكر وثقافة كما أن العنصر المعنوي والديني مهم في نشوء وتطور أي حضارة فلا ينبغي إهماله حين دراسة التاريخ وسننه الثابتة.

---

[60] النحل: 75.

[61] الزمر: 37.

[62] الزمر: 29.

[63] الرعد: 28.

لذلك فإن تدارس التاريخ الإسلامي والحضاري دوره بالغ في غرس الهوية الاسلامية والاعتزاز بها ووصل حاضر الأمة ومستقبلها بماضيها التليد ليستنهض هممها في استعادة مجدها وريادتها وفاعليتها.

من خلال دراسة السيرة النبوية الشريفة المجسدة للمثل القرآنية والقيم الإيمانية والإنسانية في أسمى تجلياتها وأتم معانيها وكمالاتها، وفي دراسة مختلف الأحداث والمحطات التاريخية المشرقة والفاصلة في تاريخ الأمة الإسلامية وسرد سير أبطالها من خلفاء وأمراء وعلماء وقادة عسكريين الذي يعزز ثقة المسلمين اليوم بمصدر عزهم ومجدهم وفخرهم وهو دينهم وعقيدتهم وقيمهم التي حركت أولئك الأبطال لصناعة الأمجاد والانتصارات للأمة أمام أعدائها وصناعة الحضارة وإبداعاتها الفكرية وإنجازاتها العلمية والعمرانية والعسكرية والفنية وريادة الأمم، كشخصية نور الدين زنكي، صلاح الدين الأيوبي، السلطان قطز، ومحد الفاتح وابن أبي عامر الأندلسي وغيرها كثير من عظماء الأمة التي ينبغي أن تخلد ذكراهم عبر مختلف الفنون الثقافية، مما ينفض عنهم شعور الانهزامية والدونية والعجز أمام بقية الشعوب الأخرى، كما تأخذ العبرة بمن خان الأمة عبر تاريخها وكان سببا في زوال مجدها وانحسار قوتها ونفوذها وهيبتها فتتعظ بحالهم ومصيرهم وحسرتهم، كحادثة اجتياح المغول والتتار لبغداد لخيانة وزيرها، وحادثة سقوط الأندلس بسبب تنازع ملوكها وتناحرهم، وأن حياة الأمة في دينها وبه فمتى أرادت النهوض من مستنقع مشاكلها اللامتناهية ومغادرة أوجاعها وآلامها ما عليها سوى أخذ كتابها بقوة وشحذ إرادتها منقادة بنور الوحي حينها فقط ترى بواعث أملها وسبيل نجاتها.

وإن نجاح أي حضارة وازدهارها ماديا ليس دليلا على منهجها الصحيح ولا على خيريتها ولا ينبغي أن تكون محلا للانبهار بل للاتعاظ إذا كانت حضارة قائمة على الطغيان والجبروت والفساد وطمس الروح والقيم إنما محض استدراج ومد ليحموا أوزارهم كاملة يوم القيامة، ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ ﴾[64]، فلا تلازم بين التقدم المادي والانطماس الروحي وصحة النظم والفكر والتصورات والسلوكات وكذلك فإن القيم ليست عائقا عن النجاح المادي فضلا عما يخص

[64] ينظر: محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 133 - 134.

الله عباده المؤمنين من الفلاح الأخروي وتنزل البركات والطمأنينة في الدنيا[65] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[66]، ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾[67].

وإن الأزمة الحضارية للأمة تتمثل في العمق في أزمة الهوية وليست مشكلة اقتصادية أو سياسية فمتى أدرك هذا الجيل من الأمة تميزه الثقافي النابع من دينه الإسلامي واعتزازه بالوحي وتاريخه الحضاري يبدأ بالنهوض والصعود وهذا لا ينفي أن الأمة عالقة في مشاكل حياتية لكنها ابتلاءات عارضة يسوقها الله تعالى ليرجع المسلمون إلى إيمانهم وشريعتهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.[68]

فكل تلك المعارف والعلوم الإسلامية لها دور في تكوين شخصية المسلم القوية والمتوازنة والمتصالحة مع ذاتها ودينها وتاريخها ومعتقداتها وقيمها ومنسجمة وخاضعة للمنظومة الفقهية في معاملاتها دون اختلال أو تشوه أو رفض لاحدى تلك المرتكزات قصد النهوض بأمتنا أفرادا أولا ثم مجتمعات.

---

[65] ينظر: محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص 133 - 134.

[66] الأعراف: 96.

[67] الجن: 16.

[68] الأنعام: 42.

خاتمة:

إن المعرفة الإنسانية التي أفرزتها الحضارة الغربية بعلومها الدقيقة التطبيقية وعلومها الإنسانية ونظرياتها الفلسفية تتطلب تزكية لها وتنقيحا حتى تكون صالحة للتداول في الأوساط التعليمية والثقافية نظرا لما تحمله من خطايا فكرية تهدد هوية الأمة وكيانها لصدور تلك المعرفة عن عقل غربي موغل في المادية، ولذلك كان دور المعرفة الإسلامية التي أفرزتها العلوم الإسلامية على تنوعها له الأثر البالغ في تزكية وتمحيص هذه المعارف وتشكيلها وصبغتها بالصبغة الربانية "صبغة الله ومن احسن من الله صبغة"، وقد حاولت الورقة البحثية إبراز بعض الجوانب المعرفية في العلوم الاسلامية التي يمكن الاستفادة المنهجية والعملية منها في إثراء المعرفة ومختلف العلوم الإنسانية والمساهمة في ازدهارها وفي تمكين الفرد المسلم والجماعة من الاستفادة العملية منها حتى يصطبغ بها فكر المسلم وشعوره وتصطبغ بها حياته وسائر تصرفاته التعبدية وكذا العادية، وهو الهدف العملي والنهائي من جميع العلوم الإسلامية حيث اهتمت المعرفة العقدية والقرآنية بالتزكية القيمية الأخلاقية وعلمي أصول الفقه والكلام بالتزكية الفكرية، وعلمي الفقه والمقاصد بالتزكية السلوكية وعلم التصوف بالتزكية الوجدانية، باعتبارها تمثل جميعا جوانب الإنسان التي يحيى بها، والمهمة في تحقيق توازنه وتنميته وإعداده وتأهيله حضاريا.

ومن التوصيات المقترحة ضرورة الاهتمام بجميع العلوم الإسلامية وتلك الجوانب الإنسانية في المجال التربوي والتعليمي وإعداد البرامج على وفقها، وكذا في المجال الدعوي والإعلامي، والفكري.

قائمة المصادروالمراجع:

- **المؤلفات:**

1-أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دون طبعة، دمشق – سوريا: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

2-أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د ط، بيروت –لبنان: المكتبة العلمية، دت.

3-إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط.4، بيروت –لبنان: دار العلم للملايين ، 1407 هـ - 1986م.

4-رولان أومنيس، فلسفة الكوانتوم، فهم العلم المعاصر وتأويله، ترجمة أحمد فؤاد باشا ويمنى طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت، 2008 م.

5-عبد الوهاب المسيري، الإنسان والحضارة والنماذج المركبة، د ط، القاهرة- مصر: دار دون، د ت.

6-عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د ط، د ت.

7-علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط.1، بيروت-لبنان: المكتبة العصرية، 1426هـ - 2005م.

8-علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ط.2، دمشق- سوريا: المكتب الإسلامي، 1402 هـ.

9-علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، ط.1، بيروت –لبنان: دار الكتب العلمية، 1403هـ - 1983م.

10-محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، د ط ، القاهرة– مصر: دار التراث العربي، د ت.

11-محمد بن عبد الله بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط.1، دمشق- سوريا: دار إحياء الكتب العربية، 1376 هـ - 1957م.

12-محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ط.1، بيروت-لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.

13-محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية، د ط، القاهرة –مصر: دار المعرفة الجامعية، 1997 م.

14-محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ط.1، القاهرة –مصر: دار الشروق، 1418 هـ- 1998 م.

15-محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ط.10، القاهرة- مصر : دار الشروق، 1414 هـ 1993 م.

16-محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، مرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دون طبعة، دار الهداية، دت.

17-محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، د ط، بيروت- لبنان: دار المعرفة، دت.

18-مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ط.1، دمشق- سورية: دار الفكر، 1988م.

- المقالات:

1-عبد الحليم بوهلال، من أسلمة العلوم إلى العلوم وفق الفطرة، مجلة العلوم الاجتماعية، مج. 08 ، ع. 02، 2019.

2-عماد عبد الله محمد الشريفين، أسلمة العلوم النفسية والاجتماعية عند الفاروقي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مج.21، ع.1، 2013 م.

- **مواقع الانترنيت:**

1-أحمد إبراهيم خضر (2010 م)، وجهة نظر: حول ظاهرة أسلمة العلوم، موقع: 15/12/2010)،
https ://www.alukah.net

2- صليحية الطالب (2016 م)، أسلمة العلوم من سبل بناء حضارتنا، موقع:
https ://www.islamweb.net, **(31/08/2016)**

3-علي طالقاني (2019م)، نظرية المعرفة الفقهية تقرير عن الورشة التعليمية والبحثية لفلسفة علم الأصول معهد الإسلام الحضاري ومركز الآخوند الخراساني للدراسات العليا، موقع:
https ://www.ijtihad.com (03/11/2019),

4-ناصر العمر (1429 ه)، تأسيس العلوم الإنسانية الحديثة على الأصول الإسلامية، موقع:
https ://www. almoslim.net,(4محرم 1429)

5-مفهوم الإنسان(2017م)، موقع رؤيا للبحوث والدراسات:
https :// www.ruyaa.cc (30/11/2017)